

أهمية الفضاء العام في بناء التواصل الاجتماعي

دراسة اثنوغرافية لساحة السلام بولاية غليزان

The communicative system and Social relations within space

Ethnographic study of the peace space in the relizane

موسى عبد الصمد*

جامعة وهران 02 (الجزائر) moussay91@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/28

تاريخ القبول: 2022/12/25

تاريخ الاستلام: 2022/07/21

ملخص :

يتميز المجتمع الجزائري بالتنوع الثقافي من حيث العادات والتقاليد والأعراف وقواعد السلوك، والإثنيات المختلفة، فهو يعتبر ميدان خصب للدراسات الانثروبولوجية والاثنوغرافية في تحليل العلاقات الاجتماعية المبنية على تفاعلات الأفراد، ونركز في هذه الدراسة على انثروبولوجيا الاتصال والمنهج الاثنوغرافي انطلاقا من الاتصال الغير شخصي الذي يتضمن مجموعة الأفعال التي تحرك البنية المؤسسة للمجتمع وتحن الثقافة في إطار الحياة اليومية.

واختارنا في دراستنا هذه ساحة السلام الواقعة في مدينة غليزان كفضاء للممارسة والأداء الثقافي من اجل تحديد طبيعة الاتصال، ومحاولة فهم الكيفية التي يتفاعل بها الأفراد داخل هذا الفضاء باستخدام المنهج الاثنوغرافي الذي يقوم على الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة والنشاط الثقافي، وتحليل التعبيرات والحركات والرموز المختلفة التي تحدث داخل هذا الفضاء.

الكلمات المفتاحية: انثروبولوجيا الاتصال، الفضاء العام، الحياة اليومية، المنهج الاثنوغرافي، الاتصال الغير اللفظي .

Abstract:

Algerian society is characterized by cultural diversity in terms of customs, traditions, norms, rules of behavior, and different ethnicities. It is considered a fertile field for anthropological and ethnographic studies in the analysis of social relations based on the interactions of individuals. in this study, we focus on the anthropology of communication and the ethnographic approach based on impersonal communication, which includes the set of actions that move the founding structure of society and bring culture within the framework of daily life.

In our study, we chose the peace Square located in the city of relizane as a space for cultural practice and performance in order to determine the nature of communication, try to understand how individuals interact within this space using an ethnographic approach based on the descriptive study of lifestyle and cultural activity, and analyze the various expressions, movements and symbols that occur within this space..

Keywords: anthropology of communication, public space, daily life, ethnographic method, impersonal communication.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

الاتصال هو أساس تطور العلاقات الإنسانية وبواسطته يحدث التفاعل بين الأفراد أو الجماعة وتعزيز الثقة فهو يرتبط بنماذج ثقافة المجتمعات ، حيث لا يوجد مجتمع دون اتصال فهو احد أساليب الحياة الغريزية التي يتم بين الأفراد في حياتهم الاجتماعية والثقافية عن طريق التبادل مع الآخر.

والانصال هو عبارة عن نظام تبادل ونقل المعلومات والرموز بين طرفين احدهما مرسلا والآخر مستقبل من خلال استخدام كل الوضعيات التي يتخذها الفرد لإحداث التفاعل الاجتماعي بينهما.

يحدث هذا التواصل داخل فضاء معين في إطار زمني معين يتضمن مجموعة من الرموز تتمثل في حركات وإيحاءات وإيماءات وتعبيرات الوجه ونبرات الصوت والكلمات، تسيير كلها نحو اكتشاف الفضاء والزمن الذي فيه يكون الاتصال مرتببا ارتباطا وثيقا بثقافة المجتمع باعتباره مجموع الأفعال التي تحرك البنية الثقافية المؤسسة للمجتمع في الحياة اليومية .

ويحمل الفضاء في طياته دلالات رمزية تعبر عن انتماء الأفراد وتفاعلهم اليومي في مجتمع حضاري دائم التغير ومتعدد الثقافات ذو هياكل اجتماعية عديدة.

وتعتبر ولاية غيزان كغيرها من المدن كبيئة محلية تعتمد على كل ما هو أصيل ذو علاقة بخصوصيات المجتمع المحلي، الذي يعكس الهوية الاجتماعية والثقافية للأفراد وتطبيقا لقيم وتقاليد المجتمع.

وبالنظر إلى النسيج العمراني لمدينة غليزان نلاحظ أنها لازالت تحافظ على طابعها المحلي البدوي ولا زالت محافظة على هويتها الاجتماعية والثقافية متخلفة بذلك في مسيرة روح العصر دون أن تفقد معالمها القديمة، فكان نموها بطيء مقارنة مع الولايات الأخرى التي عرفت تحولا سوسولوجيا واسعا.

ولا يمكننا أن ننكر التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على الولاية حتى ولو كانت بشكل بطيء، إلا أن كانت لها تأثير مباشر على السكان حيث ساهم في تغيير الحياة البسيطة هذا بالموازاة مع ظهور قيم ومعايير ثقافية جديدة عملت على تغيير ممارسات وسلوكيات الأفراد اليومية. لقد ظهرت علاقات ونظم اجتماعية جديدة ساهمت في تشعب حياه الأفراد نظرا لتطور نوع من تقسيم العمل، وقلصت من التجانس والتضامن بين الأفراد الذين يعتبران سمة من سمات الثقافة التقليدية لمجتمعات زراعية (الحاج، 1998، صفحة 19).

ولم تنطلق دراستنا هذه من فراغ ولم تكن دراسة اعتباطية وإنما مبنية على خلفية وأسس علمية بالاعتماد على النقاط الآتية :

- الاهتمام بالانثروبولوجيا في دراسة المجتمعات المحلية خاصة انثروبولوجيا الاتصال التي تعني بدراسة الظاهرة الاتصالية إلى جانب الإجابة على كل التساؤلات التي تتعلق بأشكال الاتصال التي يتخذها الأفراد بغية الاستمرار في الاتصال.
- القراءات العديدة حول الموضوع وكل الدراسات التي لها علاقة مقارنة به خاصة اطرحوه الدكتور الأستاذ " رضوان بوجمعة " تحت عنوان " أشكال الاتصال

التقليدية في منطقته القبائل " التي كانت عبارة عن عملا ميدانيا متميزا حيث قدم لنا صورة ونظرة واضحة وتفاصيل دقيقة من خلال دراسة الاتصال في المجتمع المحلي.

- اعتمدنا على المقابلة في البحث الميداني كأداة منهجية في جمع المعلومات والمعطيات لمعرفة سلوكيات الأفراد وكذلك اعتمدنا على الملاحظة والملاحظة بالمشاركة لرصد كل الظواهر الاتصالية والاجتماعية والثقافية التي تحدث داخل الفضاء باستخدام المنهج الاثنوغرافي.

2. الإشكالية:

يعد الفضاء عنصرا أساسيا في تحديد طبيعة الاتصال فهو بمثابة مسرح مفتوح للممارسة ، فتاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعله مع الفضاء أساسا لأن تعلق الإنسان بفضائه تعلق شديد فالعلاقة الإنسان بالفضاء كبير يتأثر الإنسان بالفضاء الموجود فيه و في نفس الوقت يؤثر الإنسان في الفضاء من خلال إنتاجاته و ممارساته اليومية المختلفة . (برواق، 2012)، فهو المكان المكون والمجسد لكل الأفعال المكونة له .

حيث يعرفه hall في مؤلفه اللغة الصامتة " الفضاء هو كل شيء يملك حدا طبيعيا أو ماديا يفصله عن المحيط الخارجي، من الحشرة إلى أبسط خلية لدى الإنسان وكل عضو يملك حدودا يمكن إدراكها، والتي تحدد بدايته ونهايته، ويحتوي مصطلح الفضاء أو المكان على مجموعتين كبيرتين من الأعمال، وهي تلك المتعلقة بالأقاليم والمسافات الشخصية" (بصافة، 2016، صفحة 45).

ويتعامل الأفراد مع الفضاء في سياقات متعددة وفق تصورات اجتماعية ونفسية وثقافية مختلفة ، فالحياة اليومية لدى الإنسان تشمل نشاطات وممارسات سواء كانت لفظية أو غير لفظية ، فهي بذلك عبارة عن رموز سيميائية ترسم معالم وتشكيل سيميولوجية الفضاء .

وعلى هذا الأساس فإن دراستنا تتجاوز الماديات ، وأننا نحاول بذلك فهم الفضاء إلى ابعده من ذلك ، انطلاقاً من أنه ليس مكاناً فارغاً فحسب بل هو حقل مليء من الظواهر الاجتماعية والممارسات اليومية.

و يرى بارت الفضاء أنه فضاء دال، يدعوننا إلى افتراض نصيات أخرى تسري في الظواهر الاجتماعية والممارسات اليومية ، ونصوص اجتماعية أخرى ماثورة في عاداتنا وتقاليدنا وممارساتنا وفضاءات مشبعة بالرموز والعلامات (البوعزيزي، 2010، صفحة 137).

إن تواجد التصاميم الهندسية والزخرفة داخل الفضاء التي تدل في مختلف أشكالها على وظيفتها التقليدية الإستعمالية، فإنها تتجاوز دلالتها السيميولوجية إلى لغة ورموز وتعبيرات تعكس وتمثل أنظمة اجتماعية وثقافية، تحمل في طياتها أفكار ورسائل وخطابات رمزية.

وفي هذا الإطار فإن سيميولوجية الفضاء تحمل دلالات وتعبيرات لثقافات متنوعة وخصائص اجتماعية مختلفة، فالإنسان يتعامل مع الفضاء ويتفاعل معه ككائن حي في قراءة تواصلية بينه وبين الأشكال المادية المكونة له التي تعكس وظيفة البناء الاجتماعي (مسجد ، مدرسة ، مؤسسة ،.....) وبين مختلف الفاعلين في هذا الفضاء.

ويذهب "عبد الرحمن منيف" إلى القول أن المكان يكتسب ملامحه من خلال البشر الذين يعيشون فيه والبشر هم تلخيص الزمن الذي كان فيه وفي مكان محدد بالذات (فيصل، 2010، صفحة 125).

ومن زاوية أخرى فالفضاء هو مجال حيوي يمارس فيه الأفراد ممارسات ويتصرفون تصرفات تعكس خلفياتهم في عملية تأثير متبادل ، فهم يضيفون عليه مجموعة من القيم والأفكار الاجتماعية والثقافية التي تفرض عليهم بطريقة أنية أن يكتفوا تصرفاتهم وممارساتهم مع خصوصية هذا الفضاء، وفي هذا الصدد فإنه بذلك يحمل العديد من الدلالات في إطار جملة من الأنساق العلاماتية المبنية على نظام دقيق من الرموز والمعاني.

ولا يفوتنا أن ننوه أن الفضاء الحضري كنظام من علامات المجتمع هو ما ينتجه ، بحيث يبني على مجموعة من القواعد والأشكال التي يمارسها السكان ، وهذا ما يدفعنا إلى إعادة

الانتباه إلى تنوع مستويات دلالات الأفعال الحضرية (PELLIGRINO, 2010, p. 22).

LES FAITS URBAIN

وقد اخترنا كفضاء في دراستنا هذه ساحة السلام الواقعة بوسط ولاية غليزان ، هذا الفضاء الذي يتميز بخصوصية اتصالية يتوافد إليه الأفراد من مختلف الأصناف نساء-رجال-أطفال ومن مختلف أحياء الولاية وحتى من البلديات المجاورة بل وحتى من الولايات الأخرى ، فرغم انه من البعد الوظيفي هو مكان مخصص للراحة والترفيه فهو يتعدى ذلك كونه حيز من التفاعلات بين الأفراد، فقد حاولنا مكن خلال هذا الفضاء رصد وتتبع مختلف الوضعيات الاتصالية التي يتخذها الفاعلون حسب الجنس والسن والانتماء الثقافي .

فالحياة اليومية في هذا الفضاء هي مخبر للممارسة والأداء الثقافي وكذلك نسج العلاقات الإنسانية الاجتماعية ، حيث حاولنا عبره فهم الواقع من خلال ملاحظة مختلف التفاعلات سواء عبر الاتصال اللفظي أو الغير اللفظي، أي دراسة كل الوضعيات الموجودة لدى الأفراد على أساس أن لها قيمة اتصالية ، فالأفراد سواء تكلموا أو لم يكلموا هم يدخلون في شكل من أشكال الاتصال على أساس انه لا يمكن أن يمتنع عن الاتصال بلغة الجسد .

فيما يتمثل دور الفضاء العام في تشكيل التواصل الاجتماعي في اطار سياق ثقافي متنوع ومتعدد ؟ وكيف يتفاعل الأفراد في نسج علاقاتهم الاجتماعية من خلال النسق الاتصالي في ساحة السلام لولاية غليزان؟

3. منهج الدراسة وأدواته :

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الإثنوغرافي وذلك في إطار معايشة مجتمع البحث الذي من خلاله نقوم بتتبع ورصد مختلف الحركات والإيماءات وكل أفعال الأفراد

داخل هذا الفضاء، ويعتمد المنهج الإثنوغرافي على تقنية الملاحظة بالمشاركة من خلال الولوج والانخراط العميق للباحث في حياة الأفراد لمدة زمنية داخل الميدان المراد دراسته. والإثنوغرافيا هو العلم الذي يقوم على الوصف والتحليل لمختلف عادات وأعراف الشعوب، فهي كلمة يونانية تنقسم إلى قسمين ethno والتي تعني العرق أو المخلوقات ذات الأصل المشترك أما Graphie فتعني الصورة، ومن هنا فالإثنوغرافيا تعني وصف الشعوب وتعني تحديدا أعمال الباحثين الذي يبحثون في طبائع الشعوب ودورات حياتهم.

ويعرف مرسلي واتكنسون البحث الإثنوغرافي بأنه بحث اجتماعي يتميز بالانخراط العميق للباحث علنا أو خفية في حياة الناس لفترة من الزمن، يراقب ما يحدث ويسمع ما يقال، ويسأل الأسئلة ويجمع ما يمكن من بيانات بهدف تسليط الضوء على قضايا محورية في البحث حيث أن الباحث الإثنوغرافي يقع بين حدود البحث الكيفي السوسولوجي لمجرد الفهم، وبين البحث الإجرائي كون هدفه الفهم والمشاركة في التغيير نحو الأفضل، حيث يختلف البحث الإثنوغرافي عن الأبحاث الأخرى بمنهجيته وأهدافه، فمن حيث المنهجية يقتضي البحث الإثنوغرافي قيام الباحث بمعايشة المجتمع موضوع البحث، مثل المنزل، المدرسة، السجن... الخ، فالأبحاث الإثنوغرافية تتطلب آليات معينة لجمع البيانات كتدوين المشاهدات اليومية إضافة إلى تحليل الوثائق واليوميات ذات الصلة (بصافة، 2016، الصفحات 44-45).

ويرى young.m في كتابه ثقافة الشرطة وطريقة عملهم في بريطانيا أن البحث الإثنوغرافي طريقة وأداة لفهم أساليب مجتمع أو جماعة ما وطرقه في الحياة واليومية من خلال معرفة أفكارهم ومعتقداتهم وقيمهم وسلوكياتهم وما يصنعونه من أشياء يتعاملون معها، ويتم ذلك عن طريق الملاحظة بالمشاركة في الوضع الطبيعي الحياتي من جانب الباحث دون الاستعانة بمتروجم حتى يستطيع فهم حياتهم الاجتماعية بدقة أكبر (معتوق، 2018، صفحة 67).

ويركز البحث الإثنوغرافي على الوصف والتحليل معتمداً بذلك على الكلمة من خلال دراسة الباحث لثقافة الشعوب وعاداتهم وقيمهم وأخلاقهم حيث يرى علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيون منهم واتكسون ، سميث ديلامونت أن المنهج الإثنوغرافي هو الطريقة التي من خلالها وصف ثقافة مجتمع ما وهو المنهج الذي يستخدمه الباحث لملاحظة السلوك في بيئته ووضع الطبعي ويتوصل عبر هذه الملاحظات إلى معنى لهذا السلوك (معتوق، 2018، صفحة 67).

إن مجهودات الباحث في استقصاء المعلومات ورصد مختلف الأفعال والحركات التي يمارسها الأفراد داخل الميدان من خلال الحياة اليومية تعتبر المبدأ الأساسي الذي يبني عليه المنهج الإثنوغرافي، بالإضافة إلى تقنية الملاحظة بالمشاركة أي معايشة الباحث لمجتمع البحث المراد دراسته حتى يتمكن من تحديد بطريقة دقيقة خصائص هذه الجماعة .

وعلاوة على ذلك فإن المنهج الإثنوغرافي لا يركز على الملاحظة بالمشاركة فقط بل على العديد من الأدوات العلمية على شاكلة الملاحظة بالمشاركة والمقابلة نصف موجهه، والمحادثة الغير رسمية والمحادثة المعلقة، والقصص والحكايات ، كما يعتمد إلى جانب ذلك على جمع المواد المادية المنتجة من قبل الأفراد مثل الأفلام والفيديوهات والصور، هذا التنوع في الأدوات المنهجية تجعل مصادر معلومات الباحث متنوعة مما يؤمن من خلالها نتائجها (SILVERMAN, 2011, p. 111).

حيث كان هذا المبدأ الركيزة الأساسية في الدراسات الأنثروبولوجية التي قام بها قوفمان ،GOFFMAN

وعلاقة المنهج الإثنوغرافي في الدراسات الاتصالية تتجسد من خلال الفعل الاتصالي للفرد وذلك بالتوجه في دراسة طبيعة التفاعل، أي الاتصال بينه وبين الأفراد الآخرين عن طريق

وصف وتعبير وتحليل كل السلوكيات ومختلف المواقف الناتجة عن تصرفات وممارسات الأفراد في وضعيات اتصالية مختلفة .

ولابد من التأكيد على أن السلوك الإنساني يتأثر تأثراً كبيراً بالبنية التي حوله وبذلك إذا أردنا أن نفهم المعنى الحقيقي لذلك السلوك يتطلب منا فهم تلك البيئة .

ويهدف المنهج الإثنوغرافي إلى دراسة وتحليل الثقافة على أنها نظام من الرموز والمعاني والأفكار ، فالباحث من خلال دراسته للظاهرة يسعى إلى استكشاف مختلف الحركات والأفعال وفهمها فهماً دقيقاً عن طريق معاشته للظاهرة يسعى إلى استكشاف مختلف الحركات له جمع أكبر قدر من المعلومات والمعطيات و ملاحظة المستجدات وتفسير سلوك الأفراد وتصرفاتهم ، وتتم عملية تفسير البيانات في إطار السياق ذاته كما أن تعميم النتائج ليس هدفاً فالمهم هو الوصف الدقيق والمتعمق للموقف موضوع الدراسة (MC MILLAN./SCHUMACHER, 2001, p. 420).

ويقوم المنهج الإثنوغرافي على افتراض أساسه أن كل الممارسات الإنسانية لها علاقة جد وطيدة مع البيئة فهو يتأثر تأثراً كبيراً بها ، الأمر الذي يقضي على الباحث في دراسته معاشة الميدان واحتكاكه المباشر به لفهمه بصورة دقيقة بغية الحصول على المعطيات والمعلومات الكاملة ،

فتفسير المعاني والوضعيات التي يتخذها الأفراد في مواقف معينة من خلال المعطيات والمعلومات التي تم جمعها من الميدان عن طريق الأدوات الكيفية (الملاحظة والمقابلة ومختلف الأدوات المنهجية) لا تعتمد على التعابير الرمزية فقط ، فالباحث يتجه إلى التحليل والتأويل في سياق أوسع وإلى البحث عن الفهم الحقيقي للمعاني والتجارب الشخصية ومخرجات الأفراد من ممارسات وتصرفات وإشكاليات تصب مجملها في محاولة الباحث إلى استنطاق الميدان بدقه أكبر ودراسة آليات التفاعل وكل ما يدور فيه من معاني ورموز ومواقف وأشكال وسلوكيات التي يعطيها الفرد معنى في حياته اليومية.

حيث يرى كمال زيتون المنهج الاثنوغرافي على انه منهج لوصف الواقع واستنتاج الدلائل والبراهين من المشاهدة الفعلية للظاهرة المدروسة ، ويتطلب هذا المنهج من الباحث معايشة فعلية للميدان والحقل موقع الدراسة (زيتون، 2006، صفحة 306).

وعلى هذا الأساس فان الباحث في المنهج الاثنوغرافي يركز على العلاقة بين أفراد مجتمع البحث في تفاعلاتهم اليومية، وإدراك كل ما يتعلق بالفهم الحقيقي للسلوك ودلالات الفعل والمقصد من وراءه ، فالمعنى قد يكون واع ومحسوس وقد يكون غير محسوس ولا شعوري.

ويركز الباحث اهتمامه على استكشاف طرق تكوين المعاني من خلال عملية التفاعل الاجتماعي في إطار تحليل معنى الحياة اليومية والأشكال الأساسية لعمليات التأثير والتأثر وكذلك الأشكال والأنماط الأساسية للحياة الاجتماعية ، انطلاقاً من الاهتمام بالرموز والمعاني والتفاعلات.

فالمقرب الاثنوغرافي يركز على فهم السلوك في سياق اجتماعي عبر مشاركة الباحث في الوضعية المدروسة مشاركة فاعلة ضمن الفريق موضوع الدراسة (تامي وقزادري، 2010، صفحة 420).

4. الحدود الزمانية والمكانية للدراسة

1.4 المكانية :

لقد أجرينا هذه الدراسة في ساحة السلام التي تتوسط ولاية غليزان فهي تقع بين مقر البلدية ومسجد النور العتيق الذي يعتبر كرمز من رموز الولاية ، حيث يقابل هذه الساحة من الناحية الغربية مقر البلدية وطبيب مختص في الأشعة ، ويحيط بها أربع أكشاك اثنان مخصصة لنسخ الأوراق مقابل البلدية ، واثنان كمقهي مقابل المسجد ، ويحيطها في الجهة الشمالية مجموعة من المحلات المختلفة والمتنوعة (مقهي ، مكتبة، محل تبغ، محل لبيع قطع الغيار أجهزة التبريد)، ويحدها في الجهة الشرقية الشارع الرئيسي

للولاية "محمد خميسي" الذي يقابله مجموعة من المطاعم بالإضافة إلى مقر متعامل الهاتف النقال "أريدو"، وعلاوة على ذلك فإن ساحة السلام يجاورها العديد من المؤسسات الإدارية التي تقع في مختلف الأحياء القريبة منها.

1.4 الزمانية :

أجريت هذه الدراسة خلال شهر نوفمبر ابتداء من تاريخ 2021/11/07 إلى غاية 2021/11/13 لمدة أسبوع من الزمن أي سبعة أيام على التوالي في الفترة الصباحية والفترة المسائية .

حيث قد قسمنا أوقات الدراسة والملاحظة من الساعة التاسعة صباحا إلى غاية وقت بعد صلاة الظهر، وفي المساء من الساعة 15.30 إلى غاية وقت بعد صلاة العشاء .

5. وصف ساحة السلام كفضاء اتصالي :

يهتم الإثنوغرافيين بالبيئة والفضاء لما يحمله من أهميه باعتباره مجال لبروز الرموز والمعاني، أي هناك علاقة جد وطيدة و علاقة تكاملية بين كل الأفراد والبيئة الغير منطوقة "صامته"، فالتواصل بين الأفراد هو أمر أساسي في سلوكياتهم عن طريق التبادل لمختلف المعاني والقيم والرموز نتيجة التفاعل مع مختلف الأشياء سواء كانت مادية كالمباني المحيطة بالفضاء، التي هي بدورها عبارة على نوع من الرموز الثقافية، لها روابط وثيقة مع ثقافة الفضاء والمجال وبما أن الثقافة تتعلق بكل ما هو بشري فان سلوك الأفراد يتناسب مع المكان في إطار نسق اتصالي واضح، الأمر الذي يمكننا من فك معاني هذه السلوكات وقيمة هذا الفضاء كنظام اتصالي غير لفظي أي غير منطوق "اللغة الصامته".

ويقع بقرب ساحة السلام مسجد النور الذي كان عبارة عن كنيسة خلال فتره الاستعمار الفرنسي الذي حول إلى مسجد بعد الاستقلال، فيلتقي في هذه الساحة جموع من المصلين قبل كل من صلاة الظهر وصلاة العصر، من هم من يرتدي لباس معين و من هم من يرتدي العباءة ومنهم الملتحي المرتدي اللباس القصير ومنهم العاملون في المؤسسات

الإدارية المجاورة يلتقون كلهم في هذه الساحة لتجمع بينهم علاقات اجتماعية يتفاعلون في ما بينهم ويغادرون الساحة ما ينادي للصلاة لإقامتها ،

فرغم أن الأفراد الوافدين لهذا الفضاء من بيئات مختلفة و من ثقافات متنوعة إلى أنهم يدركون قيمة هذا الفضاء وخصوصيته باعتباره انه لا يجسد أي ثقافة إلا عندما يتواجد الأفراد فيه لان الفضاء الخالي ليس له أي قيمة تعبيرية .

وفي المساء بعد صلاة العصر نلاحظ سيطرة الجانب الذكوري على الساحة ، فيقسمونها بذلك إلى ثلاثة أجزاء رئيسية منها الجزء الذي يحادي مقر البلدية، يجتمع فيه هؤلاء من هم المهتمين بالجوانب والشؤون السياسية يتحدثون على كل ماله علاقة بذلك فتراهم يتناقشون على البرامج والحملات الانتخابية بتفاعل شديد، ومنهم من يستغل هذا الفضاء بالترويج لحزبه السياسي للخوض في غمار الانتخابات القادمة، فتفاعل هؤلاء الأفراد في هذه المواضيع من خلال هذا الفضاء يحمل العديد من الرموز الاتصالية ذات قيم تعبيرية سواء كانت لفظية أو شفوية لا سيما حركات اليد والجسم وإيحاءات الوجه.

أما في الجزء الشمالي للساحة نلاحظ تجمعات متفرقة للمهتمين بالجانب الرياضي للحديث عن كل ما هو جديد يتعلق ويخص فريق الولاية سريع غليزان ،والحديث عن الاستقدمات والتعاقد مع مختلف اللاعبين، حيث يعد الاجتماع بين هؤلاء المستخدمين لهذا الفضاء بمثابة انطلاقة وخطة طريق لبرمجة مختلف المواعيد والبرامج الرياضية، وحتى تحضيراتهم لكيفية التشجيع للمباراة القادمة من خلال الاتفاق بين هؤلاء الأفراد لصياغة مختلف الشعارات والأغاني الرياضية في الملعب.

ونلاحظ في الجزء الأخر من الساحة الشيوخ وكبار السن بالقرب من المسجد يستمعون تارة ويتبادلون تارة أخرى الأحاديث واغلب الأوقات صامتين فقط، مركزين على المشاهدة والتفاعل مع مختلف الحركات وسلوكات الأفراد في الأجزاء الأخرى من الساحة ،حيث

يوجد من بين هؤلاء المسنين من يلعب لعبه "الداما" مع بعضهم ويستمترون في ذلك إلا أن يأتي وقت صلاة المغرب.

إن الأفراد المستخدمين لساحة السلام في مدينة غليزان يتفاعلون مع هذا الفضاء في صورة متجانسة، يمارسون فيه أحاسيسهم وتجاربهم كمجال حيوي ذو طابع فيزيائي تتنامى فيه اهتمامات وأفعال إنسانية، فإننا بذلك نجد تأثير متبادل بين هذه البيئة وسلوكات الأفراد فهم يتأنسون فيما بينهم داخل هذا الفضاء.

فهو بذلك يشكل قيمة اجتماعية اتصالية لما له من دور كبير في تنظيم التفاعل الاجتماعي وتنظيم عمليه الاتصال، فهو انعكاس ونتاج لتواصل الأفراد في ما بينهم كنظام اتصال غير منطوق يحرر من خلاله هؤلاء الأفراد طاقاتهم الكامنة لتتحول بعدها إلى فعاليه بمجرد الدخول إلى هذا الفضاء.

6. النتائج :

بعد دراستنا الميدانية لهذا الفضاء المتمثل في ساحة السلام لمدينة غليزان والتي دامت لمدة 15 يوما ابتداء من ابتداء من تاريخ 2021/11/07 إلى غاية 2021/11/21، فمن خلال الملاحظة اليومية الدقيقة للأفراد المتوافدين إلى هذا الميدان ورصد مختلف الأفعال والمواقف والسلوكيات التي يتخذها هؤلاء داخل هذا الفضاء وجدنا انه مكان للقاء والتواصل رغم أن هذه الساحة هي فضاء مخصص للراحة، إلا أن دورها وقيمتها أكبر من ذلك فهي محطة لتبادل الرموز والمعاني ومختلف أشكال التواصل، فهم يدركون خصوصية هذا الفضاء من خلال تفاعلهم مع البيئة وينسجون في ما بينهم علاقات اجتماعية في سياق ثقافي متنوع.

ويعد "سوق المغطاة" و"سوق زنقة الركابة" الذي يقعان بقرب من الساحة من أهم العناصر المساهمة في تشكيل أبعاد هذا الفضاء، وذلك أن اغلب الوافدين إليه يأتون من هذه الأسواق المجاورة بعد قضاء حاجياتهم محملين بأكياس البقالة خاصة في الفترة الصباحية، حيث تعد سيدات اغلب الأفراد اللواتي يقصدنا الساحة قبل ذهابهن إلى

البيت ، حيث يقمن بنسج علاقات اجتماعيه أكثر من الرجال وبذلك هن أكثر إدراكا لهذا الفضاء نتيجة للدور الاجتماعي الذي تلعبه النساء في المجتمع .

وبناء على ذلك فقد اتخذت هؤلاء السيدات داخل هذا الفضاء وضعا دوريا ورمزيا ، وتشكل المرأة بذلك حضورها إلى تجسيد بناءات اجتماعية وثقافية جديدة تستند أساسا على خلفيات ترسخ الوضع التراتبي بين الذكور ، وأصبح تفاعلها وتواصلها داخل الساحة يرسم معالم المساواة بينها وبين الرجال وتزيل بذلك السيطرة الذكورية والتمايز المفروض داخل هذا الحقل.

وتأسيسا على ذلك فإن الممارسة الاجتماعية للمرأة بعدما كانت ترتكز على العرف كقانون ينظم الفضاء ويجسد بداخله معالم التراتب والتمايز، أصبحت تهدد الهيمنة الذكورية وأضحت تستثمر في حركتها وتحركاتها، وصنعت لنفسها بذلك تطورا طبيعيا مقتحمة الفضاء لجعله مسرحا لها تمارس فيه مختلف الممارسات والتفاعلات الاجتماعية (أرزازي، 2021، صفحة 637)، إلا أن ما نلاحظه في ساحة السلام من خلال فترة المعيشة أن الفضاء الزمني للمرأة مقتصر فقط في الفترة الصباحية دون غيره من الأوقات وتفسيرا لذلك يرجع إلى المرجعية الثقافية التي تحدد تصورات وسلوكات الأفراد والصورة النمطية المتشكلة اتجاه دور المرأة ولعله من المفيد أن نؤكد أنها لازالت ترى في الفضاء مكانا موحشا بدلالات من الخوف وعدم الأمن.

7. خاتمة :

وفي الختام تعتبر ساحة السلام الواقعة في وسط مدينة غليزان فضاء اتصالي بامتياز، يكشف عن حقيقة هامه تتعلق بخصوصية أنماط التفاعل للأفراد مع البيئة والمجال وما يتميز به هؤلاء الأفراد بتلقائية وببساطه، ليبدو كجماعات اجتماعية يحدث بينهما قدر من التفاعل الاجتماعي في سياق ثقافي متنوع في نسق التكامل والتضامن .

وتمتج سلوكات الأفراد داخل هذا الفضاء بكل مظاهر المجتمع المحلي لتبدو في النهاية كعالم متكامل في ذاته حيث يحتل التبادل عنصرا ذات أهمية كبيرة بين الفاعلين الاجتماعيين مستخدمين بذلك وضعيات ونماذج اتصالية تتناسب وتتكيف مع القواعد الجارية داخل الفضاء في اتصال مباشر واتصال غير مباشر، كما شبهه جوفمان GOFFMAN "بالكواليس" أي الروابط الخفية التي تظهر في حياة الأفراد وعلاقاتهم سواء مع الآخرين أو مع المحيط " البيئة المادية " وهذا ما يعرف بالتبادل الرمزي ، فمعنى ذلك أنه حتى ولو توقف الفرد عن الكلام فلا يمكنه التوقف أبدا عن التواصل عبر الجسد .

وقد تكون هذه الصورة دليلا على أن المكان له دلالات ثقافية ،وعلى أساس أن الإنسان يتدبر المكان والزمان ،فإن استعماله لهذين المكونين الثقافيين يعفيه من البرهنة على أن السلوكيات والمواقف تبرمج أو تحدد وفقا لذلك وتعد أطروحة هال HALL رائد في هذا المجال.

وقد كان هال HALL في مؤلفه " اللغة الصامتة " تركيزا كبيرا على المكان باعتباره عنصر له أهمية بالغة في الحياة اليومية لما له من وظائف اتصالية (عكروت، 2018، صفحة 116). واستخلاصا مما سبق فإن الاتصال في ساحة السلام لا يشمل فقط ما هو منطوق وما يتعلق بالرسائل الشفوية اللفظية ، بل يتعدى ذلك إلى مجموع الرموز والحركات التي يتبادل بها الأفراد داخل هذا الحقل الاجتماعي الثقافي من اجل التأثير، فالتواصل الغير لفظي هو كل حركة أو إشارة يتخذها الفرد في وضعية ما ليتم إدراكها من قبل الأخر، فهو عبارة عن ممارسة ثقافية تحدث داخل الفضاء كما تؤكد ذلك مدرسة التفاعلات الرمزية

التي ترى أن الميدان هو مسرح لتفاعلات الأفراد في ما بينهم ولتبادل مختلف الرموز والمعاني.

فالأفراد داخل ساحة السلام صنعوا من خلال تواجدهم اليومي والدوري نظاما من الرموز والمعاني كان له تأثير كبير في نسج العلاقات الاجتماعية ، فكانت كمسرح يتحرر فيه الأفراد بممارساتهم وتفاعلاتهم ليشكل مجتمع لبنية ذات نسق اتصالي اجتماعي في سياق ثقافي متنوع .

قائمة المراجع :

المراجع باللغة العربية :

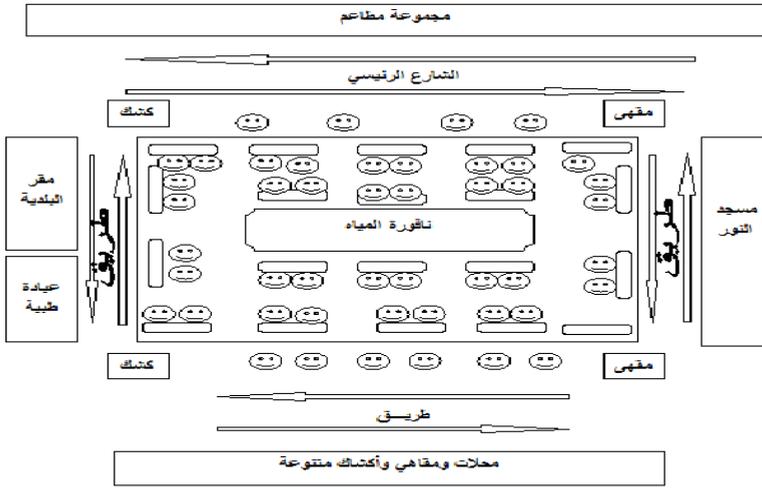
- الأحمر فيصل. (2010). معجم السيميائيات (المجلد 01). الجزائر: منشورات الاختلاف.
- أمينة برواق. (2012). سيميولوجيا الفضاء ودلالة التمثيلات المعمارية دراسة تحليلية سيميولوجية لحي العربي بن مهيدي -قسنطينة-. مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص سيميولوجيا الاتصال، قسم علوم الإعلام والاتصال ،كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 03،الجزائر.
- أمينة بصافة. (2016). انثروبولوجيا الاتصال والمؤانسة الاجتماعية بفضاء اتصالي جزائري دراسة اثنوغرافية. مجلة افاق للعلوم ، العدد 01، جانفي 2016 ، 43-53.
- جمال معتوق. (2018). منهجية البحث الاثنوغرافي في ميدان العلوم الاجتماعية. مجلة انثروبولوجيا ، العدد 01، نوفمبر 2018 ، 65-74.
- فريدة عكروت. (2018). مفهوم الفضاء وتمثالاته الاجتماعية. مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية ، العدد 01 ، جوان 2018 ، 106-124.
- كمال زيتون. (2006). تصميم البحوث الكيفية ومعالجة بياناتها الكترونيا. القاهرة: عالم الكتب.
- محسن البوعزيزي. (2010). السيميولوجيا الاجتماعية (المجلد 01). مركز دراسات الوحدة العربية.
- محمد أرزاعي. (2021). سوسولوجيا النوع الاجتماعي والفضاء العام داخل المجتمع الجزائري. مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية ، العدد 02 ، ديسمبر 2021 ، 634-657.
- مراد مولاي الحاج. (1998). الغزوات ، مدينة في ظل التحولات السوسيو-ثقافية. مجلة انسانيات ، المجلد 02 ، العدد 05 ، أوت 1998 ، 35-48.

- نصيرة تامي، و حياة قزادري. (2010). المنهج الإثنوغرافي كاتجاه منهجي في دراسة الظواهر الاتصالية الجديدة. نظرة بين الحاضر والمستقبل (الصفحات 414-428). اسطنبول تركيا: شبكة المؤتمرات العربية.

المراجع باللغة الأجنبية :

- MC MILLAN./SCHUMACHER, S. (2001). RESEARCH IN EDUCATION A CONCEPTUAL INTRODUCTION., NEW YORK: LONGMAN PUBLICATIONS.
- PELLIGRINO, P. (2010). LE SENS DE L ESPACE : L EPOQUE ET LE LIEU ANTHROPOS. PARIS.
- SILVERMAN, D. (2011). (Ethnographic observation), dans Interpreting Qualitative. Los Angeles: Los Angeles, Sage Publications.

ملاحق:



مخطط ساحة السلام

